



يدعى أدعية القومية العربية ممَّن تصح تسميتهم بالقوميين عبر تاريخهم أنهم يدافعون عن عروبة الأوطان وكل المنطقة العربية، وطالما تغُوا بهذه الشعارات الرنانة والطنانة في مسيرتهمعروبية على مدار سنوات طويلة.

ـ المتعة القومية بين العرب والفرس:

لسنا هنا بقصد العودة لتاريخ القوميين العرب؛ ففيه الغث والسمين، ولا نحن بقصد تعداد الهزائم الكبيرة التي منيت بها هذه القومية العربية منذ ظهورها، ولا يمكن أن يكفينا المقام لحصر التناقضات الكثيرة التي وقع فيها الفكر القومي العربي.

كما أن القومية العربية لم تحقق أي انتصار في كل القضايا المصيرية التي رافعت عنها، خاصة مع قضية فلسطين التي هي دائمًا العنوان الأبرز في شعارات القوميين العرب عبر مسيرتهم الطويلة.

من جهة أخرى إن ارتماء القوميين العرب في أحضان قوميات أخرى ليس بالجديد، فبالرغم من أن القومية العربية تعادي الغرب إلا أن الحكام العرب الذين حكموا تحت منطق قومي كانوا من أبرز الذين رهنو أوطانهم تحت أقدام المتربيسين من الشرق والغرب.

حتى جمال عبد الناصر الذي يعد من أبرز حكام القومية العربية، فهو رغم شعاراته الطويلة والعميقة وغير المنتهية، إلا أنه لم

يحقق أيّ انتصار يذكر؛ فالوحدة التي قادها مع دول عربية أخرى منيت بالفشل الذريع بسبب الترجسية الناصرية، أما صراعه مع الكيان العربي فبدوره تكبّد هزيمة نكراء عام 1967.

القومية العربية بمفهومها السائد صنعت لنا أنظمة بعثية مستبدة وديكتاتورية، وابتليت الشعوب العربية بحكام قومجيين، أقل ما يمكن وصفهم به أنهم مارسوا الكثير من الظلم والإفساد، وتاريخ البعثيين في العراق وسوريا لا يخفى على أحد.

لا نريد أن نخوض في تفاصيل كثيرة لا يكفيانا المقام لحصرها، لكن نرحب هنا في الحديث عن هذه المرحلة التي نعيش فيها مع الثورة السورية، حيث نظام الأسد البعثي الذي طالما رفع شعارات العروبة، وطالما ادعى أنه من حلف المقاومة والممانعة للكيان الصهيوني، وطالما حارب القوميات الأخرى وعلى رأسها الأكراد بزعيم عروبة سوريا، إلا أن ثورة الشعب السوري كشفت وفضحت حقيقة طالما تحدث عنها كتاب ومثقفون، نحن منهم، حول عمالة البعث السوري للقوى الإمبريالية وعلى رأسها "إسرائيل".

ثار الشعب السوري من أجل إصلاح منظومة الحكم الفاسدة والمستبدة، ولتحرير نفسه من حزب البعث العربي الاشتراكي الذي حكم بلاده بقبضة أمنية واستخباراتية ليس لها نظير في تاريخ الأنظمة الشمولية في العالم العربي، بل على وجه الأرض في هذا العصر الحديث.

لقد اكتشف السوريون أن بلادهم هي مجرد مزرعة إيرانية، يتحكم فيها ملالي إيران الذين لديهم توجهات عنصرية فارسية تجاه العرق العربي، وعقائد شيعية متطرفة تجاه أهل السنة جمِيعاً، وما دام الشعب السوري عربياً وأغلبيته سنية فقد اجتمع البغض الفارسي والحدق الشيعي لدى نظام الحكم الإيراني، فخاض عبر وكيله بدمشق حرباً شرسة وقدرة وطائفية نجسة لم يسبق إليها أعنى الطغاة.

هل يعقل أن نظام الأسد، الذي يصف نفسه بالعربي وأنه يحمل هوية عربية ومشروعه عربي، حينما يثور عليه الشعب السوري العربي لا يجد من يدافع عنه سوى إيران الفارسية؟

هل من المنطقي أن "حزب البعث العربي" لا يدافع عن وجوده في سوريا سوى مليشيات دينية متطرفة، يقودها معمّمون من دولة فارسية معادية للأمة العربية؟

هل من الطبيعي أن حزب بشار الأسد العلماني حينما يثور الشعب السوري ضده، لا يجد غير المعمّمين من رجال الدين في إيران وغيرها من يدافعون عن حكمه؟

هل يمكن أن يقبل العقل أن نظاماً يدّعى القومية العربية يقبل أن تتحول دمشق، وهي عاصمة الأميين العرب، إلى مجرد حوزة للفرس يمارسون فيها كراهيتهم للجنس العربي والمذاهب السنّية؟

بلا أدئني شك أنه يوجد خلل كبير ما في هذه المتناقضات؛ فإذاً أن النظام السوري لا علاقة له بالعروبة وشعاراته كانت مزيفة وخادعة لعلوم العرب، أو أن القومية العربية هي إيديولوجية فاسدة أو أنها فسدت ولا يمكن أن تصمد أمام الهوية الدينية التي تجمع بين نظام الأسد النصيري ونظام إيران الصفوی، أو أن لعبة المصالح جمعت بين هذا وذاك لأجل الحفاظ على الوجود في إطار التحالف بين الشياطين من أجل البقاء فقط.

كل هذه الاحتمالات واردة بلا شك، فالنظام السوري يستغل العروبة والمقاومة لأجل الاستمرار في الحكم تحت رعاية استخباراتية غربية عموماً وإسرائيلية بصفة أخص.

كما أن القومية العربية التي توزعت في العالم الإسلامي هي نوع من العنصرية للعرق لا يمكنها أن تواجه العنصرية للدين وهي الأقوى دائمًا وأبدًا.

أيضاً نجد المصالح المتبادلة بين نظام الأسد الذي يحمي وجوده بعمائم ملالي إيران، وهم يردون له الجميل حيث أن نظام حافظ الأسد وقف مع طهران الفارسية ضد بغداد العربية التي تحكمها حزب البعث في حرب السنوات الثمانية بين الخميني وصدام.

ترى ما الذي جعل الأسد البعثي العربي يتحالف ضد صدام البعثي أيضًا مع الخميني الشيعي الفارسي؟ هل هو صراع الزعامة في "حزب البعث"، أم أن القضية إيديولوجية أصلًا وترتبط أساساً بالتحالف بين الأسد النصيري مع الخميني الرافضي ضد صدام حسين السنّي؟

كل ما ذكرنا وارد، فحزب البعث يأكل كواذره بعضهم بعضاً بسبب هوس الزعامة لدى البعثيين، كما أن البعد الديني هو الذي أذاب جليد القومية بين دمشق وطهران وجمع بقوة بين حافظ الأسد والخميني، هو نفسه الذي تكرر بين الأسد الصغير وخامنئي.

- السقوط الحر للقومية العربية:

ليس ما ذكرنا عن حال القومجيين العرب هو على المستوى الرسمي فقط، فقد تابعت أدعية القومية العربية ممّن أفضل تسمية القومجيين العرب التي أطلقها عليهم الدكتور فيصل القاسم، ووجدتهم جميعاً يدافعون عن نظام الأسد بزعم أنه آخر قلاععروبة والعلمانية في العالم العربي، فهل يعقل أن القومية العربية ينتهي مسارها تحت أقدام الفرس في إيران؟

هل يعقل أن إيران ستتحمي العروبة وهي تسمى الخليج العربي بـ"الخليج الفارسي"؟

تناقضات أدعية القومية العربية في هذا الجانب عميقة؛ فهم حاربوا الأكراد والأمازيغ وهم لا يعادون العرب أصلًا، ولكنهم عملوا على محوهم من الوجود، رغم أن الكرد والأمازيغ من المسلمين والأكثر منهم يدينون بمذاهب سنّية، في حين يرتمون بكل ثقلهم بأحضان الفرس الذين يشهد التاريخ على مدى عدائهم للعرق العربي، بل أن هذا العداء العنصري يفوق العداء اليهودي للعرب.

القومية العربية التي لا تعني العرق العربي طبعاً، بل المشروع السياسي البعثي الذي صنعته العقلية العربية الحاكمة، لو لم تكن تحمل بنور فنائها ما وصل بها الحال إلى أن تنتهي آخر قلاعها تحت أقدام الفرس العنصريين. ولو لم تكن مجرد مشروع هلامي وهمي ما صار القومجيون العرب يدافعون عن طهران أكثر من دفاعهم عن القدس الشريف.

للأسف إيران تدمير دمشق العريقة وهي عاصمة عربية والأقدم في التاريخ، وتدمير اليمن الذي به أعرق العرب، وتدمير العراق الذي به عاصمة الخلافة بغداد التي بناها أبو جعفر المنصور أحد أجداد العرب، وتدمير لبنان الذي هو من بلاد الشام العربية، وتتاجر في أسواق النخاسة الدولية بفلسطين التي هي القضية الأم لكل العرب.

رغم كل ذلك يأتي القومجيون العرب ويدافعون عنها من خلال دفاعهم المستميت عن نظام الأسد الذي فتح سوريا لكل مرتبة إيران من كل الجنسيات والأعراق ليقتلوا الشعب السوري، ويدمروا بلادهم ويهجّروا عربها ويوطّنوا الفرس في أخصب المناطق وأهمها من كل النواحي الاستراتيجية.

القومجيون العرب يدعون أنهم يدافعون عن قضيتهم الأولى فلسطين، ويعشقون إيران التي تتقاسم الأدوار مع الكيان العربي

لتخرّب المنطقة العربية، وتشغل الأوطان العربية بحروب وفتن داخلية، وفي الوقت الذي صارت فيه "إسرائيل" تمارس تهويد القدس الشريف على راحتها، نجد الشعوب العربية منشغلة بصراعات دموية محلية يقف خلفها ملالي إيران.

بل أن القوميين العرب لا نسمع صوتهم تجاه إخوانهم العرب في الأحواز العربية المحتلة، حيث أن إيران العنصرية تمارس تطهيرًا عرقياً؛ فهي تمنع اللغة العربية وتحرم على العرب الأحواز حتى الذي التقليدي العربي، ولا يوجد أكثر عداء للقومية العربية من هذه الجرائم العنصرية الفارسية.

فضلاً عن احتلال الجزر الإماراتية، وما تقوم به من محاولات لتخرّب البحرين والكويت وال السعودية وما تبيّنه من نيات قذرة للإمارات العربية عبر نشاطات اقتصادية ضخمة، كما نراها تنشط في المغرب العربي الكبير حتى يصير حاله إلى ما آلت إليه سوريا واليمن والعراق ولبنان.

فهل يعقل أن القوميين العرب يصل بهم الانبطاح لهذا الحد؟

العرب لهم تاريخهم المشرف وحميّتهم النبيلة، غير أن القوى الاستبدادية أرادت أن تقتل هذه النخوة بمشاريع مشبوهة مثل القومية التي يتزعّمها علماء من طراز بشار الأسد وغيره.

العرب لهم مقامهم الرفيع في التاريخ الإسلامي؛ ولذلك يجري العمل الممنهج لتدمير هذا من خلال معتقدات شيعية تريد أن تخترل الدين في آل البيت رضي الله عنهم، ومن نسل فارسي فقط، حتى تمحو بذلك تاريخ الصحابة رضي الله عنهم بتكفير أغلبيتهم والهجمة عليهم لتشويبهم.

لسنا ضد العرق الفارسي ولا أي عرق آخر، ولكننا ضد العنصرية مهما كان نوعها سواء جاءت من القوميين العرب أو ملالي إيران أو صهاينة تل أبيب، ولكن للأسف عنصرية القوميين العرب هي التي أوصلتهم إلى أن تحولوا إلى مجرد أحذية لدى العنصريين الفرس، وهكذا يشربون من أقداح طالما سقوها لغيرهم من المواطنين الآخرين في الوطن العربي من ذوي العروق الأخرى.

إن كانت القومية هي الارتماء بأحضان العنصرية الفارسية وتحول العرب إلى مجرد عبيد لدى ملالي إيران، وإن كانت هذه القومية تعني ذبح السوريين واليمنيين وال العراقيين واللبنانيين والأحوازيين، فهي قومية مزيفة لا أساس لها، وسيكون مصيرها مشؤوماً أكثر من مصير بشار الأسد المرتقب بإذن الله في قلب دمشق عاصمة العرب التاريخية.

الخليج أونلاين

المصادر: